- حمد الجاسر -

"كلما ولد إنسان،

أنشئت طريق جديدة نحو النجاح"

- عبدالله الجمعة -

ابن الفلاح الفقير الذي أصبح رائد الفكر السعودي

علامة الجزيرة حمد بن محمد الجاسر

(١٣٢٨/١٤٢١هـ - ١٩١٠/٢٠٠٠)

"الجاسر أشهر أدباء السعودية داخل البلاد وخارجها"

- د.علي بن جواد الظاهر -

لا يسعني عندما أبهج ناظري بقراءة سيرة الشيخ حمد الجاسر إلا أن أقول:

من رأى أن الحياة تقف عند حد معين، فليقرأ سيرة الشيخ حمد الجاسر.

فما هي قصة هذا الإنسان البسيط الذي أصبح أحد أشهر الأعلام الذين خرّجتهم جزيرة العرب عبر التاريخ؟

ولد حمد بن محمد بن جاسر بن علي آل جاسر في عام ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م في قرية (البرود) في إقليم السر، وتبعد عن العاصمة الرياض قرابة ثلاثمائة كيلومتر. كان والده فلاحاً فقيراً، وكان يعده لأن يرث مهنته ويصبح فلاحا في قريته، إلا أن ابنه حمد ولد عليلاً وكان الجميع يتوقعون أن يظل مقعدا في منزل أهله، وكما حكى عن نفسه أن أهله حفروا قبره أربع مرات اعتقدوا فيها أنه سيموت.

وربما كانت صحته الهزيلة فألَ خيرٍ له؛ إذ كانت سبباً له في أن يتجه إلى التحصيل العلمي، وأن يشذ عن أقرانه في قريته وممارساتهم للفلاحة والرعي فقد أدرك والده أنه لا يمكنه المشاركة في زراعة الأرض، فأرسله إلى قرية (حزمية) المجاورة للبرود، ومنها كانت بداية مشواره العلمي والفكري حيث تعلم مبادئ القراءة والكتابة وحفظ القرآن كاملاً، وبعد أن تم شفاؤه من مرضه أرسله أبوه إلى الرياض عام ١٣٤١ هـ.

وكان عسيراً لابن الثلاثة عشر عاماً أن يترك أهله وينتقل فجأة من قرية على أطراف الصحراء إلى مدينة عامرة حديثة. وقرأ هناك (المتون الآجرومية والثلاثة الأصول وآداب المشي إلى الصلاة للشيخ محمد بن عبد الوهاب وملحة الإعراب للحريري). وفي عام ١٣٤٨هـ بدأ منعطفا جديداً في حياته إذ التحق بالمعهد الإسلامي السعودي في مكة المكرمة (وهي أول مدرسة نظامية تنشأ في العهد السعودي).

وفي المعهد بدأ أولى خطواته مع الكتابة فقد اتفق مع زميل له اسمه أحمد عبد الغفور عطار على إصدار مجلة خطية اسمها "الشباب الناهض" وما إن صدر عددها الأول حتى أوقفت كلياً على إثر مقال نشر فيها. وفي مكة المكرمة تعرف على جريدة (أم القرى) التي صدرت بعد توحيد الحجاز عام١٣٤٣هـ.

وبعد تخرجه من المعهد السعودي درّس في ينبع أربع سنوات، ثم تولى قضاء ظبا قرابة سنة، ثم سافر إلى مصر لمواصلة دراسته في كلية الآداب في جامعة القاهرة عام ١٣٥٨ هـ. وكانت رغبته في الدراسة في مصر استدعت الحصول على موافقة السلطات السعودية، ثم مقابلة عميد كلية الآداب حينذاك الدكتور شفيق غربال، الذي أحاله لمقابلة عميد الأدب العربي الدكتور طه حسين، بعدها أوصى طه حسين بقبوله في الآداب.

واستمر حمد الجاسر في الدراسة لمدة عام استهوته فيها القاهرة كمدينة واسعة حافلة بالمكتبات والمساجد والخطباء والآثار والمتاحف والعلماء وبالصحف والكتب والشوارع والميادين، هذه المدينة التي ساهمت بالتأثير على الشيخ الجاسر وساعدت على إنضاجه وتثقيفه وتوجهه بعد ذلك. لكن مع نهاية العام الدراسي الأول قامت الحرب العالمية الثانية فاضطر الجاسر إلى العودة إلى وطنه المملكة العربية السعودية وعمل مدرساً بالأحساء ثم مديراً لنفس المدرسة، لكنه لم يتوقف عن شغفه وحبه للعلم والبحث والدراسة فتبوأ مناصب مختلفة في وزارة التربية منها رئيس لمراقبة التعليم في الظهران، ومدير للتعليم في نجد ١٣٦٩ هـ كما عمل مديرا لكليتي الشريعة واللغة العربية في الرياض، وعمل أستاذاً غير متفرغ بجامعة الملك سعود، وأنشأ في نجد مكتبة لبيع الكتب وهي مكتبة العرب التي تعد جزءاً من تاريخ الرياض الآن، حيث كان موقعها بجوار المسجد الجامع الكبير في مدينة الرياض من الناحية الشرقية وهي أول مكتبة عنيت بعرض المؤلفات الحديثة تحت إشرافه. وأخيراً أدرك أن العمل الوظيفي لا يتناسب وطموحاته العلمية الكبيرة، فاختار طريق الصحافة حيث زاولها مهنة وعملاً، فأصدر صحيفة اليمامة فيما بعد، ورأس تحرير صحيفة الرياض عند تأسيسها.

كان الشيخ حمد متعلقاً بالشعر وبالمقامات حتى أنه حفظ مقامات الحريري، وكذلك كان مهتماً بعلم الجغرافيا التي بدأت معرفته لها مع معجم البلدان لياقوت الحموي، وأدرك أن الكتب على أهميتها فإن الباحث لابد أن يخرج إلى الكون من حوله ليتأكد مما جاء فيها.

وفي عام ١٣٧٢هـ تقدم الجاسر إلى الأمير سعود بن عبد العزيز (الملك سعود) لإصدار صحيفة يومية باسم الرياض فأذن له، فأصدرها في البداية شهرية ثم أسبوعية ثم يومية وكان يطبعها في القاهرة، وقد صدر العدد الأول في

شهر ذي الحجة من نفس العام، لكنه اضطر لتغيير اسمها إلى اليمامة حيث لم يوافق ديوان الأمير على (الرياض) عنواناً للجريدة.

ثم انتقل لطباعة صحيفته في الحجاز، ثم في لبنان، فعزم على أن تتم طباعتها في الرياض ذاتها، ولذلك أنشأ مطابع اليمامة عام ١٣٧٤هـ، وكانت تطبع مجلة اليمامة والجزيرة والقصيم وصحف ومجلات أسبوعية وشهرية أخرى، وبدأ يطور مشروعه الصحفي فحول مجلة اليمامة إلى أسبوعية عام ١٣٧٥هـ وبدأ يرسم لها خطاً آخر ومعالجات جديدة كانت موضع خلاف مع الرقابة بين الحين والآخر، فقد كان في معاناة مستمرة مع الرقيب ولم يستسلم رغم المكابدة، إيماناً منه بعمله الصحفي.

إلى أن أمر الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله عام ١٩٧٩هـ (وكان حينها ولياً للعهد) بإلغاء الرقابة على الصحف والمجلات.

كان حمد الجاسر مصمماً على أن يصدر جريدة باسم الرياض حتى حقق حلمه عام ١٣٨٥ هـ فترأس تحريرها.

وقد أجمع الباحثون على أن الشيخ حمد الجاسر رائد من رواد التنوير في الجزيرة العربية، ويكفي أنه أنشأ "دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر" عام ١٣٨٦ هـ. وتولت هذه الدار نشر الكثير من المؤلفات المتعلقة بالجزيرة العربية منها ماهو من تأليفه أو تحقيقه، ومنها ماهو تأليف وتحقيق غيره، أغلبها ضمن سلسلة أطلق عليها نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب.

ومن إنجازاته وأبحاثه العلمية الكثير في الجغرافيا والتاريخ والتي نشرت في (أم القرى والمنهل والمدينة والبلاد السعودية) ومنها ما نشر خارج المملكة مثل الأبحاث التي نشرت في المجمع العلمي بدمشق ومجلة الرسالة القاهرية. وقد اضطر الشيخ حمد الجاسر إلى ركوب الصعاب في سبيل التحقق من كل معلومة

أوردها في أبحاثه ودراسته، فقد رحل في مختلف المناطق في الجزيرة العربية مستقلاً كل أنواع المواصلات الحديثة منها والقديمة بما في ذلك البغال والخيل والجمال وحتى مشياً على الأقدام لمسافات طويلة.

وينتمي الجاسر بالعضوية إلى العديد من المجامع اللغوية مثل المجمع اللغوي في دمشق والمجمع اللغوي العراقي، ثم منح عضوية أعرق وأهم المجامع العربية ووهو مجمع القاهرة -أو مجمع الخالدين كما اعتاد العرب تسميته- حيث صدر قرار جمهوري بعضويته في الثالث من نوفمبر عام ١٩٥٨م.

كما ساهم بعدة مقالات في مجلة الفتح وجامعة الرياض والتي كانت تصدر باسم مجلة جامعة الملك سعود ومجلة المجتمع العلمي بدمشق.

أما الكتب فيعتبر "سوق عكاظ" الذي صدر ملحقا بكتاب "موقع عكاظ" لعبد الوهاب عزام عام ١٩٨٠م أول مؤلفاته ثم نشر بقية مؤلفاته وتحقيقاته ضمن سلسلة نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب. ويقرب ما كتبه الشيخ الجاسر، ونشره من ١٢٠٠ عمل، ومن هذه الأعمال كتب قيمة قام بتأليفها أو تحقيقها، وأكثر أعماله العلمية - غير الكتب - منشورة في مجلة العرب، التي يرأس تحريرها، ويشرف عليها وحده إشرافاً دقيقاً، كما تناول أكثر من ثلاثين رحلة؛ دراسة، أو تلخيصاً، أو تحقيقاً، وفي مقدمة أعماله في هذا الميدان تحقيقه لكتابين هما: الدرر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، في ثلاثة أجزاء، للجزيري الحنبلي، وكتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة، المنسوب للحربي.

- كتاب عن العلامة حمد الجاسر -

لقد انتشر اسم حمد الجاسر في أوساط المثقفين، وكتب عنه العديد من المستشرقين وكبار الباحثين والمفكرين العرب، ومنهم الدكتور بكري شيخ أمين حيث قال: (وليس من المستغرب أن نقول إن دراساته صححت كثيراً من المعلومات السائدة المغلوطة عن الجزيرة العربية، ودفعت أعضاء المجامع العلمية العربية أن يرفعوا من شأنها)، أما الدكتور علي جواد الطاهر فقال: (الجاسر أشهر أدباء السعودية داخل البلاد وخارجها، تهيأ له ذلك بحق ومن غير قصد الدعاوة).

الأوسمة والجوائز:

تقديرا لجهوده ومكانته العلمية منح الشيخ الجاسر العديد من الجوائز والأوسمة والشهادات، نذكر منها:

- وسام الملك عبدالعزيز من الدرجة الثالثة ويمثل هذا التكريم تتويجا لعطاء حافل كان صداه ما لقيه من تقدير وتكريم حيث كان أحد الرواد الكبار الذين كرمهم مؤتمر الأدباء السعوديين الأول الذي عقدته جامعة الملك عبدالعزيز في فرعها بمكة المكرمة.
- كان أحد الأدباء الثلاثة الكبار الذين حصلوا لأول مرة على جائزة الدولة التقديرية في الأدب عام ١٤٠٤هـ.
- حصل على جائزة سلطان بن علي العويس الثقافية في دولة الإمارات العربية المتحدة.
- تم تكريمه وتقديره بمنحه جائزة الملك فيصل العالمية للأدب عام ١٤١٦هـ.
- منحته جامعة الملك سعود الدكتوراة الفخرية.
- نال وسام مجلس التعاون لدول الخليج العربي العاشر في قمة سلطنة عمان.

مؤلفاته من الكتب:

تجاوزت مؤلفاته الخمسين كتاباً، منها:

- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ.
- البرق اليماني.
- الفتح العثماني.
- تاريخ اليمن في القرن العاشر الهجري.
- المغانم المطابة في معالم طابة للفيروز آبادي- تحقيق.
- المعجم الجغرافي للمملكة العربية السعودية- ثلاثة أجزاء.
- معجم قبائل المملكة العربية السعودية.
- القطائع النبوية.
- آداب الخواص.
- معجم قبائل العرب.
- مقتطفات من رحلة العباشي.

وغيرها الكثير...

وفي يوم الخميس الخامس عشر من جمادى الآخر عام ١٤٢١هـ، الموافق للرابع عشر من سبتمبر عام ٢٠٠٠م توفي العلامة حمد الجاسر في أحد المستشفيات الأميركية عن عمر ناهز التسعين عاماً، وبفقده فقدت الحركة الثقافية والأدبية السعودية والعربية أحد رواد التنوير، ولكنه ترك آثاراً ستبقى بعده دليلا على ما قدمه لبلاده.

وعرفاناً لما قدمه من أعمال جليلة، أطلق اسمه على عدد من المعالم، منها:

- قاعة حمد الجاسر بجامعة الملك سعود بالرياض.

- قاعة حمد الجاسر في مؤسسة اليمامة الصحفية في الرياض.
- مجسم جغرافي بارز بجامعة آل البيت بالمملكة الأردنية الهاشمية.
- إحدى القاعات الكبرى بجامعة آل البيت باسم حمد الجاسر.
- شارع في مدينة تبوك بالمملكة.
- شارع في حي الورود بالرياض.

تسمية أحد الشوارع المتفرعة من شارع صاري في مدينة جدة باسمه.

ولقد لقب الجاسر - بحق- بـ"علامة الجزيرة" لما قدمه من إرث أدبي وثقافي واسع، فرحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جناته.

سيرة مختصرة لحياة العلامة الجاسر كتبت بخط يده عام ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م (حصلت عليها من موقع العلامة حمد الجاسر على الشبكة النسيجية)